



رسائل الثورة السورية المباركة (81)
العمل المسلح: الوحدة أو إجهاض الثورة
(4) الحماية من الاختراق

ثالث ما يهدد العمل العسكري من أخطار -لو بقي مفرقاً- هو إمكانية الاختراق. والاختراق الذي نحذره ونخشاه نوعان: اختراق الأجهزة الأمنية، واحتراق العصابات الإجرامية.

الاختراق الأول؛ يمكن أن تقوم به المخابرات السورية لزرع جماعات مسلحة وهمية من صنع النظام، والنظامُ خبير في هذا النوع من الألعيب وقد استعملها سابقاً بنجاح كبير، ففي أيام الثورة المسلحة في الثمانينيات نجح في اختراق تنظيم الطليعة المقاتلة، واستطاع استدرج عدد كبير من عناصر وقادة الطليعة (بما فيهم قائد التنظيم عدنان عقلة - رحمه الله -)، استدرجهم ليعبروا الحدود الجنوبية في عملية وهمية كبيرة كانت -في حقيقتها- مصيدة محكمة، وقبض عليهم جميعاً ليستشهدوا بعد ذلك في تدمر. وقبل تلك الحادثة استغل النظام اختراقه للطليعة لتدبير مجزرة حماة، وذلك عبر استدرج مسلحيها إلى إعلان الجهاد والاشتباك مع سرايا الدفاع التي كانت ترقب الإشارة، وحينها بدأت المجزرة التي انتهت بدمار ثلث المدينة واستشهاد الآلاف من كرام أبنائها، عليهم رحمة الله.

بعد ذلك بربع قرن اخترق مخابرات النظام مشروعَ الجهاد الذي بدأ بحشد المجاهدين للحرب في العراق بعد الغزو الأميركي، وفي تلك المرة زرعت أحد عملائها ليقوم بدور التجنيد والقيادة والتوجيه، وهو محمود قول أغاسي المشهور بأبي القعاع. وقد نجح الرجل في الإيقاع بمئات المجاهدين وفي إجهاض المشروع الجهادي المذكور، حتى مقتله أواخر عام 2007 على يد بعض المجاهدين الذين نجحوا في كشفه، ولكن متأخرین للأسف الشديد.

هاتان هما أشهر حالات الاختراق التي يعرفها الناس، ولو أردنا التعميم فيمكننا القول: إن المخابرات السورية لم تترك أي تنظيم مسلح أو غير مسلح دون اختراقه، بما في ذلك جميع التنظيمات الفلسطينية وغيرها من التنظيمات اليسارية والقومية والناصرية والبعثية العراقية، وقد أصبح معروفاًاليوم -بعدما كشفت عنه الستار مصادرُ أميركية- أن النظام السوري زود الولايات المتحدة بعد أحداث الحادي عشر من أيلول بتفاصيل مذهلة عن جميع التنظيمات الإسلامية، المسلحة وغير المسلحة وال السورية وغير السورية، وهي مساعدة عظيمة كوفئ عليها النظام بإيقاؤه من المحكمة الدولية وبمزيد من الدعم والتأييد العلني والخفى الذي استمر خلال السنوات التالية.

الاختراق الخطير الآخر الذي يخشى منه على العمل المسلح هو اختراق المجرمين والقتلة وقطاع الطرق الذين لا يخلو منهم مجتمع ولا تخلو أمة من أمثالهم، والذين أطلق النظام سراحَ كثير منهم من السجون مؤخراً ليعيشوا في البلاد الفاسد. هؤلاء سيدون فرصة عظيمة في حالة الفوضى الأمنية التي ترافق انتشار العمل المسلح، وسوف يبرزون كجماعات مستقلة تخلط بين مقاتلة النظام وسلب المدينين أو السطو على ممتلكاتهم، وليس لهم علاقة بالثورة ولا بأهدافها، إنما يعملون لصالحهم ولمكاسبهم الشخصية.

نحن نعلم أن كثريين من مطاردي النظام السابقين انحازوا إلى الثورة بالكامل، كالمهربين الذين كانوا يهربون البضائع عبر الحدود اللبنانية أو التركية مثلاً، وربما أيضاً بعض ذكريات عصابات أحياء المدن وأريافها، ولكن هؤلاء قوم صالحون بالأصل، وإنما اضطربتهم ظروفُ معيشتهم إلى التهريب أو إلى الاصطدام مع سلطة النظام فصاروا مطاردين ومطلوبين، وهم مكسب للثورة بشرط أن ينضبطوا بقوانينها ويخلقوا بأخلاقها، (وقد ناقشت هذه المسألة في المقالة السابقة: أخلاق السلاح قبل حمل السلاح).

ليس هؤلاء من نخشى اختراقهم للعمل المسلح في ظل الفوضى والتعدي، إنما هم مجرمون حقيقيون الذين لا خلاق لهم ولا ضمير ولا وازع، والذين ليس لهم أصلاً ولا للأمة ولا للوطن، وقد كان كثير منهم في السجون بتهم القتل والسطو وترويج المخدرات وغيرها من الجنایات، ثم أصدر رئيس عصابة الإجرام "عفواً" رئيسياً عنهم وأطلقهم على الناس، فإما أن يعملوا معه ويكونوا في عِداد شبيحته، أو ينطلقوا ليفسدو في الأرض ويذكروا على أهل الثورة ثورتهم ويسئوا إلى سمعتها بارتكاب الجرائم الموبقات ونسبتها إلى المجاهدين الصادقين من حملة السلاح.

إن الخطر الذي نخشاه ونحدّر منه ليس وهمأً أو خاطرًأ في الخيال بل هو خطر حقيقي على الأرض، فقد بدأت تنتشر -في بعض المناطق التي انسحبت عنها سيطرة النظام- جماعاتٌ مسلحة لا يعرف أحدُ أصلها وفصلاها، تمارس أعمال سلب ونهب وتفرض على السكان الضرائب والإتاوات. هذا من نوع الاختراق الثاني، أما النوع الأول فلا بد أن النظام يعمل عليه في الخفاء، ومن أمثلته تسجيلُ انتشار قبل عدة أسابيع في موقع الثورة معلنًا عن ولادة "جبهة النصرة لأهل الشام" بقيادة "الفاتح أبي محمد الجولاني - حفظه الله -، المسؤول العام لجبهة النصرة" -كما جاء في التسجيل-. إن العين البصيرة تدرك بالنظرية الخطأة أن تلك التسجيلات ليست سوى إخراج رديء لتمثيلية سخيفة من تمثيليات المخابرات السورية الفاشلة، هدفها الإيقاع ببعض المتحمسين من الثوار، وقد يكون من أهدافها أيضاً تشويه صورة الثورة عن طريق افتعال عمليات إجرامية ونسبتها إلى تلك الجهة المزعومة.

إن الوقاية من نوع الاختراقين السابقين لا تكاد تتحقق إلا بوحدة العمل العسكري، ففي تلك الحالة فقط سوف يُعرف كل عنصر غريب يحمل السلاح وليس من أهل السلاح الشرعيين؛ فإما أن يكون صالحًا مخلصًا ولكنه لم يجد الطريق إلى الجيش الحر ليعمل معه، فهذا يُدلّ على الطريق ويُضمّ إلى الفريق، وإما أن يكون عنصراً غريباً شريراً مدسوساً من النظام أو مجرماً انتهازيًأ يسعى في الشر والفساد، وعندئذ سُيُكشف أمره ويُتجنب شره ويُقصى عن العمل المسلح.

ذلك على مستوى كل منطقة من المناطق، أما على مستوى الثورة كلها فإن القيادة العامة للجيش الحر -التي تقود العمل

العسكري- سوف تكون على اتصال مع العمل الميداني في المناطق المختلفة، وستعرف على الفور بأي محاولة اختراع كبيرة -كما في حالة "جبهة النصرة لأهل الشام" المذكورة سابقاً-، وتعتم التحذير منها خوفاً من سقوط الأبراء في مصيدها ووقايةً للثورة من خطرها.

لقد بذلت جهدي في ثلاثة مقالات لأقنعكم بضرورة توحيد العمل العسكري في كيان واحد وتحت قيادة واحدة، فإذا اقتنعتم فابدؤوا بالتوحيد على الفور ولا تتأخروا، فإن كل يوم يمضي يزيد هذه المهمة الصعبة صعوبةً ويزيد الجهد اللازم لتنفيذها. **وربما تقولون: كيف يكون التوحيد؟ الجواب في المقالة الآتية، وهي الخامسة والأخيرة من مقالات "العمل المسلح: الوحدة أو إجهاض الثورة".**

المصدر: [الزلزال السوري](#)

المصادر: